



## خطاب جلالة الملك بمناسبة عيد الفطر المبارك

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله

شعبي العزيز

أبيت إلا أن أخاضتك اليوم جريباً على عادة لا أريد لها انقطاعاً وحفاظاً على تقاليد لا أود لها انفصاماً، فأبارك لك عيدك عيد الفطر السعيد الذي أرجو من الله أن يعيده عليك بعد أن صمت النهار وقمت الليل وأديت الفريضة عليك، بالخير والثواب وحسن المآب.

وكانت دائماً شعبي العزيز فرصة الأعياد فرصة يتيحها بعضنا لبعض حتى تتجاذب أطراف الحديث وتخبرك وتنبئك بما يخامرنا، وبالأفكار التي تخالجنا، وبالحضرة التي نود رسمها والخطوات التي نرجو قطعها.

إن شهر رمضان، الشهر الذي أنزل فيه القرآن، كان شهراً حافلاً لشعبي العزيز بالنسبة للأمة العربية، وبالنسبة لك خاصة وبالنسبة لتاريخ العالم.

كام مهماً بالنسبة لتاريخ العالم، لأن الجغرافية الفكرية التي يكونها الناس اليوم على مائة مليون من العرب، وبالتالي على ما يزيد على ستمئة مليون من المسلمين قد تغيرت بكيفية جديدة، فأصبحت مفاهيم اليوم ليست مفاهيم الأمس. وبالتالي صار لزاماً على كل مفكر ومحفظ على صعيد وطني أو إقليمي أن يفكر جدياً في التطورات وما سيتبع التطورات التي طرأت على العالم، حيث أنها طرأت على أسرة وهي أسرة العرب وأسرّة المسلمين التي عرفت دائماً بنجيوشها ونشاطها، فكان لها الباع الطويل ولن يزال باعها طويلاً إن شاء الله في بناء الحضارات وفي تشييد صرح التقدم البشري.

كان شهراً مهماً بالنسبة للأمة العربية، ذلك أنها نفضت عنها غبار خرافات وأوهام كانت تحيم عليها وتنقل كاهلها، حتى صارت الأمة العربية اليوم تتعجب من نفسها بل تتساءل كيف أنها عاشت أزيد من عشرين سنة وهي ساخنة إن لم أقل غارقة في أوهام وفي تخوفات سهل عليها أن تمحوها نهائياً وأن تجعل نفسها والغير يعتقد عكس ما كانت تعتقد، ويظن خلاف ما كانت هي نفسها تظن. فتحرر العرب والعربي، وانطلق العرب والعربي، وأسمع العرب والعربي كلمتهم وصوتهم، وأصبحوا أولئك الأبناء الذين يحق لهم أن يفاخروا بأولئك الآباء، بل أصبحوا أولئك الآباء الذين يحق لأبنائهم أن يفاخروا بهم ويضاهوا الأمم بذكرهم وذكرهم ومفاخرهم وأسطوراتهم وشجاعتهم وأقدامهم.

وكان هذا الشهر — شهر رمضان — مهماً بالنسبة لك شعبي العزيز، ذلك أنك حققت ما كنا نظنه جميعاً، قال النبي صلى الله عليه وسلم (والروايات مختلفة) في حديث صحيح: «إن الله رجلاً لو أقسموا على الله لأبرهيم». وحينما أرسلنا التجريدة الأولى إلى الوطن الشقيق سوريا قلنا إذ ذاك ونحن نخطب جيوشنا وأبنائنا الأعراء — وحينما قلت كنت في الحقيقة أنطق بكم وأنوب عنكم في الكلام والخطاب — قلنا جميعاً لأخواننا وأبنائنا: وإذا حيتيم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها، فتنبأنا أنهم سيردون التحية بسرعة وتنبأنا كذلك أن الله سبحانه وتعالى سيلهمهم الثبات والصمود والهداية والرشاد فيردوها بأحسن منها.



فهناك لنا شعبي العزيز، هنا لنا معشر المغاربة. حيث أننا في هذا القرن، في هذا العالم، في هذا الجو المحيط بنا، الذي تغلبت فيه المادة على التفكير، والذي أصبحت فيه الروحيات والقيم النفسية شيئاً لا تعطى له قيمته الحقيقية، هنا لنا أن رأينا أن أمهاتنا مازلن يحملن في بطونهن ويرضعن من أثدائهن أبطالاً مثل إخواننا الذين ذهبوا ليضحوا ويريقوا دماءهم ويستشهدوا ويصابوا ويجرحوا لا لأرض تعتبر أرضهم ولا لوطن يحمل جنسيتهم ولا دفاعاً عن علم يرفرف على بطاح تلك الأراضي، بل ليدافعوا عن فكرة وعن كرامة وليدافعوا عن دين وعن حضارة وليدافعوا عن شرف وسلالة، تلك السلالة وتلك الخلية التي جعلها الله سبحانه وتعالى مصنوعة من أديم واحد ومن لغة واحدة، ودين واحد واعتقاد واحد.

فهناك لنا إذن معشر المغاربة، إذ مازلنا نتوفر على طاقة بشرية مثل هذه الطاقة.

والآن أعتقد شعبي العزيز، أنني حيناً أقول لك ان محبتي فيك وتعلقك بك لا حد لها، اليوم أظن أنك تعرف وتلمس الأسباب الحقيقية التي كانت ولن تزال تجعلني فيك مغرماً، وبك متيماً. وهذه المناسبة لا يمكن لأي وطني أو مواطن أن يفتح بالتهنئة أو يصفح أخاه بالتهنئة، دون أن يفكر طويلاً ويعمق في أخوان له، هم على أرض سوريا وهم على أرض الكنانة. منهم من أدى، ومنهم من قرر أن يؤدي واجبه إلى النهاية، منهم من مات فكتب مع الشاهدين، ومنهم من عمل ما أمكنه ليستشهد، ولكن الله أطال عمره، فنقول لهم : اطمئنوا إخواننا وأبناءنا أن أسرتكم أسرتنا، وذويكم هم أهلنا، وأبناءكم أبناءنا، وأراملكم طرف وجزء من أسرتنا، فإذا لا يبقى لكم ولا يمكن أن يبقى لكم إلا هم واحد : أن تمثلوا بلادكم وماضيكم وتعلموا عن مستقبلنا نحن، وتنبؤوا به الأجيال المقبلة، بما نستحق وبما يستحق تاريخنا، وبما تستحق بلادنا من بسالة وشجاعة واستقامة.

إن الظروف التي سيقبل عليها العالم العربي اليوم ظروف دقيقة، لأن اختياراتنا سوف تكون لها انعكاسات أخطر وأعمق مما يمكننا أن نظن، لذا فإننا نعتقد أن العربي في حاجة أكثر من أي وقت مضى، إلى التشاور، وفي حاجة إلى التحالفات وإلى التضامن، في حاجة إلى وحدة الصف.

نعم، من الممكن بل من الواجب أن تكون هناك خلافات في الواجهات التي نريد أن نخطو نحوها، من الطبيعي بل من الضروري ألا نكون متفقين في الأسلوب، ولا على الطريقة، ولكن أعتقد شخصياً أننا في غنى ولسنا في حاجة أبداً إلى أن نطرح مشاكلنا أمام الخاص العام، ليس من الضروري أن يعلم الخصوم وحتى الأصدقاء مشاكلنا الداخلية ومنافساتنا الجبهوية، وأن يعلموا ما من شأنه أن يفرقنا، كفانا فخراً أنهم علموا وعلمناهم ما وحدنا وما وحد صفوفنا : ألا وهو النصر ألا وهو الإيمان بعقيدتنا، لأنني أعتقد أن العرب قد انتصروا وسوف أبقى معتقداً أننا انتصرنا على أنفسنا وعلى خصومنا، إلا أن علينا أن نعلم أن من الناحية العسكرية هناك مبدأ يتعلمه كل مبتدئ وهو الآتي : كل انتصار لا يستغل إلى النهاية ليس بانتصار، بل في إمكانه أن يرجع هزيمة.

ها نحن انتصرنا، فعلينا إذن أن نستغل انتصارنا أعمق استغلال وأوفى استغلال، حتى يمكننا أن نتنصر في المعركة الأخرى التي سوف تكون أطول وأشق، ولا سبيل لنا إلا الوحدة في الرأي، ولا وسيلة لنا إلا السكوت، فإذا أراد واحد منا أن يتكلم أو يكتب فليتنظر حتى نكون مجتمعين، على أي صعيد كان وفي أي مكان كان، فإذا ذاك له أن يكتب ويقول.

أما أن نأخذ — كما يقول الأجنبي — ملابسنا المتسخة فنحاول غسلها أمام الأجانب وفي الشارع وعلى



مرأى ومسمع من الناس، فسوف يعتقد فينا إذا فعلنا هذا أننا لسنا شجعاناً، وكما قال فيهم المتنبي :

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي الهل الساني

فإذا نحن اقتصرنا على هذا الانتصار فسوف يقول فينا التاريخ ان هذا الانتصار كان حدثاً من أحداث الزمن، بل ربما صادفناه في ضيقنا وكان في الامكان ألا نتلاقى نحن وإياه.

أما نحن إذا أردنا أن يكتب علينا التاريخ وتسير بنا الركبان في الكتابة والقول، على أننا قررنا المعركة وخضناها حسب طريقة وتصميم مدروس وخضناها لأننا أردناها في مواقيتنا ومواقعها، علينا إذن ألا نظهر بالتهورين وأن نظهر بالشعب العربي والأمة الإسلامية التي هي في مستوى مواعيد التاريخ، وفي مستوى تاريخها وحاضرها ومستقبلها.

هذه — شعبي العزيز — كلمتي إليك بمناسبة هذا العيد، عيد امتزج فيه الفرح والحزن، الفرح : فرح الانتصار، ونشوة الظفر، والحزن : ذلك أن أبناء لنا قد استشهدوا وسوف يغيبون عنا نهائياً إلى أن نلقاهم أمام الله سبحانه وتعالى.

وعسى الله أن يجعلنا منهم، لأنهم في مقعد صدق مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

عيد امتزج فيه عواصف من الاندفاع والحماس ومشاعر من المسؤولية وإحساس عميق بضرورة التفكير المستمر، عيد تمكنا فيه أن نعيد الله بخوارحنا وقلوبنا.

وفيما يخص المغرب إذا كان لزاماً على أهل المغرب أن يؤدوا صلاتهم وهم متجهون إلى الكعبة، فلي اليقين أنهم لم يتوجهوا قلباً وقالباً ونظراً ووجهة وجسداً وذاتاً إلى الشرق إلى الكعبة إلى بيت الله مثلما توجهوا هاته الوجهة مدة شهر رمضان.

لذا شعبي العزيز أرجوك أن تبقى متبعاً للمعركة الثانية والشوط الثاني الذي سنخوضه نحن العرب جميعاً، لا أقول بلداً من البلاد العربية بل أقول العرب كلهم.

وأريد أن تبقى متشبهاً دائماً بالرأي الثاقب المعروفة فيك، حتى يمكنك أن تقيم الظروف فتعرف عمقها وخطورتها، ويمكنك إذ ذاك أن تحلل ما من شأنه أن يأتي بالفرج والنصر المستمر النهائي لقضيتنا.

شعبي العزيز :

مرة أخرى أرجو الله سبحانه وتعالى أن يعيد عليك هذا العيد وأنت مفتخر بمغريبتك، غيور على دينك، فخور بمواطنيك، مؤمن بمستقبلك، على علم كبير بواجباتك ومسؤولياتك، حتى يمكنك زيادة على عملك اليومي في بلدك هذا أن تدلى بنصيبك وتعتني ببلبتك في بناء مجد أسرتك الكبرى، الأسرة العربية والإسلامية، التي نرجو الله سبحانه وتعالى أن يسدل عليها ما وعدنا به من عز وسؤدد وعلو همة، إنه سميع مجيب.

والسلام عليكم ورحمة الله.

ألقي بالرباط

الاثنين 2 شوال 1393 — 29 أكتوبر 1973